

الشَّهيدة بنان علي الطَّنطاوي

كلمات صغيرة

كلمات صغيرة

الشَّهيدة بنان علي الطَّنطاوي

١٣٦٢ - ١٤٠١ هـ

١٩٤٣ - ١٩٨١ م

تمهيد

هذه كلمات صغيرة الحجم ، قليلة العدد ،
للأخت الشهيدة : بنان علي الطنطاوي ، رحمها
الله تعالى ؛ ولكنها على قلتها ، وصغر حجمها ،
تشير بعض الإشارة ، إلى أبعاد شخصيتها
الروحانية والإنسانية والفكرية والخلقية
والاجتماعية ، وإلى شيء من منهجها ومسلكتها
في الدعوة إلى الله عز وجل

وقد أضفنا إليها كلمتين أكبر قليلاً وجدنا من

المناسب أن تظهر معها: «كيف تبسمين
وتتفاءلين؟» و«الفرع إلى الله»، وافتحنا ذلك
كله بـ «ليس لنا سواك يا الله» هذه الشطور
الوجدانية الباقية، التي كانت من أواخر ما تركته
الأخت الشهيدة، والتي تصوّر لنا أصدق
تصوير، جانباً من جوانب حياتها ومعاناتها،
وظروفها وظروف أسرتها، في غربتهم الطويلة في
ديار الغرب؛ وتعبّر أبلغ تعبير عن إيمانها
المطلق بالله، ولجوها الدائم إليه، واعتصامها
المستمر به، وتوكلها الحقيقي عليه، وصبرها
الجميل على ما يصيبها في سبيله، ورضاها

القلبي العميق بقضائه وقدره، في كلِّ حالٍ من
أحوالها، ووقتٍ من أوقاتها؛ وتُعطي القارئ أهمَّ
مفتاحٍ من مفاتيح هذه الشخصية الإسلامية
العظيمة، التي استعلت على الغربة، والشدة،
والمرض، وقسوة الظروف، وظلم القريب،
والبعيد، ومضت مع زوجها على الطريق،
ونفسها تنزف على الطريق . . إلى أن سقطت
شهيدة برصاص الغدر والإجرام، على عتبة
بيتها في شارع هِرستالر، في مدينة آخن، في
١٧/٣/١٩٨١م؛ فرقد جسدُها الممزق في
مقبرة «هلس»، ورجعت نفسها المطمئنة، راضيةً

مرضيّةً، إلى ربّها السّميعِ البصيرِ، القادرِ
العادلِ، الذي يُمهّلُ ولا يُهمِلُ، وانتصبتُ هي
بحياتها ومماتها، وروحها وأخلاقها، وجهادها
وتضحياتها، مناراً هادياً، ومثلاً خالداً رائعاً،
للمرأة المسلمة، في هذا الجيلِ، وفي كلّ جيلٍ
رحمها الله تعالى، وغفرَ لها، وجزاها عن
الإسلامِ والمسلمينَ خيرَ الجزاءِ.

الدار الإسلامية للإعلام

ليس لنا سواك يا الله

يَا رَبِّ إِنِّ ضَاقَتْ بِنَا الدُّنْيَا
فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ
وَإِنِّ انْسَدَّتْ فِي وُجُوهِنَا السُّبُلُ
فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ
وَإِنِّ ظَلَمْنَا الْأَعْدَاءُ وَالْأَصْدِقَاءَ
فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ
وَإِنِّ تَنَكَّرَ لَنَا كُلُّ مَوْجُودٍ
فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ

يَا رَبَّ الْوُجُودِ

يَا إِلَهَ

☆ ☆ ☆

يَا رَبِّ إِنِّ طَالَتْ بِنَا الْغُرْبَةُ

فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ

وَإِنِّ اشْتَدَّتْ بِنَا الْوَحْشَةُ

فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ

وَإِنِّ فَتَكَ بِأَجْسَامِنَا الْمَرَضُ

فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ

وَإِنِّ تَنَكَّرْتُ لَنَا الْأَرْضُ

فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ

يَا رَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
يَا إِلَهَ

☆ ☆ ☆

فِي سَبِيلِكَ وَحَدَّكَ وَحَدَّكَ
جَاهَدْنَا وَعَمِلْنَا
فِي سَبِيلِكَ وَحَدَّكَ وَحَدَّكَ
أُخْرِجْنَا وَشُرِّدْنَا
فِي سَبِيلِكَ وَحَدَّكَ وَحَدَّكَ
عُودِينَا وَحُورِينَا
فِي سَبِيلِكَ وَحَدَّكَ وَحَدَّكَ
عِشْنَا

وَفِي سَبِيلِكَ وَحَدَّكَ

نَعِيشُ

وَفِي سَبِيلِكَ وَحَدَّكَ

نَرْجُو أَنَّ تُكْتُبَ لَنَا الشَّهَادَةَ

يَا اللَّهُ

☆ ☆ ☆

لَيْسَ لَنَا سِوَاكَ

لَيْسَ لَنَا سِوَاكَ

فِي سَرَائِنَا وَ ضَرَائِنَا

نُنَادِيكَ :

يَا اللَّهُ

فِي شِدَّتِنَا وَرَخَائِنَا
نُنَادِيكَ:

يَا اللَّهُ

فِي قُوَّتِنَا وَضَعْفِنَا
نُنَادِيكَ:

يَا اللَّهُ

فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِنَا
فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِنَا
نُنَادِيكَ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِنَا:
يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ

☆ ☆ ☆

كيف تبسمين وتتفاءلين؟!

يَسْأَلُونِي :

كيف تبسمين رَغَمَ الدَّمْعِ والالام؟!
وكيف تتفاءلين والآفاقَ ظَلامَ فَوْقَهُ ظَلامٌ وَمِنْ
دُونِهِ ظَلام؟!

لا أدري! إِنَّ ابْتِسَامَتِي قِطْعَةً مِنْ حَيَاتِي
وَطَبِيعَتِي ، إِنَّ شَيْئاً مِنْ طِفْلُولَتِي يَعِيشُ مَعِي
بِاسْتِمْرَارٍ؛ تَتَسَاقَطُ دُمُوعِي بِعَفْوِيَّةٍ ، وَأَبْتَسِمُ
بِعَفْوِيَّةٍ أَيْضاً ، دُونَ تَحْلِيلٍ وَلَا تَفْكِيرٍ ، كَمَا يَتَعَاقَبُ

المطرُ والصَّخْوُ، والظَّلَامُ والنُّورُ

ولكنْ هناك في حَيَاتِنَا أَلْوَانٌ أُخْرَى من
الابتسَامِ، أَلْوَانٌ تَعَوَّدْنَاهَا وتَأَصَّلَتْ عِنْدَنَا على
الأيَّامِ :

هُنَاكَ - على سبيلِ المِثَالِ - ابتسَامُ التَّحَدِّيِ
والشُّمُوخِ؛ تَحَدِّيِ الطُّغْيَانِ والطَّاغُوتِ،
والشُّمُوخِ على المَخَاوِفِ والشَّدَائِدِ
والمُغْرِبَاتِ، وعلى الحَيَاةِ كُلِّ الحَيَاةِ

وهُنَاكَ ابتسَامُ اليَقَّةِ بِاللَّهِ وَنَصْرِ اللَّهِ، رَغْمَ كُلِّ
هَزَائِمٍ الحَاضِرِ وَالْآلِمِ وَمَآسِيهِ . .

نَعَمْ، إِنَّ غَاظَتْ أَحْيَاناً ابْتِسَامَةُ الطَّبِيعَةِ

والحياة؛ ابتسامة السعادة والسرور. . بَقِيَتْ على
الدَّوامِ ابتسامة التَّحَدِّي والشُّموخ، والثَّقة بالله
ونصره المَوْعود

أما التَّفَاوُل، فكيف لا أَكُونُ مُتَفَائِلَةً ونُورُ اللَّهِ
يَعْمُرُ قَلْبِي، وَيُضِيءُ عَيْنِي وَدَرْبِي، وأنا أَحْسَنُ
وأَوْقَنُ - مَهْمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا، وَاشْتَدَّتِ الظُّرُوفُ -
أَنَّ اللَّهَ معنا، يَسْمَعُنَا وَيَرَانَا. . وَأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي
نُؤْمِنُ بِهِ، وَنُجَاهِدُ مِنْ أَجْلِهِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
النَّصْرُ على الباطل. . وَأَنَّا سَنفُوزُ - إِنْ صَدَقْنَا
وَصَبَرْنَا - بِإِحدى الحُسْنَيْنِ: النَّصْرُ أَوِ الْجَنَّةُ

«وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» - الشورى : ٢٤ -

«وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ

اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ • وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ

لِلَّهِ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ» - آل عمران : ١٥٧ -

- ١٥٨ -



الْفَزَعُ إِلَى اللَّهِ

إِنِّي أَفْزَعُ إِلَى اللَّهِ فِي الشَّدَائِدِ كَمَا يَفْزَعُ
الطِّفْلُ الصَّغِيرُ إِلَى أَحْضَانِ أُمِّهِ وَأَبِيهِ بِمَحَبَّةٍ وَثَقَةٍ
وَاطْمِئْنَانٍ ؛ وَمَعْذِرَةً لِهَذَا التَّشْبِيهِ الَّذِي جَرَى بِهِ
الْقَلَمُ الْآنَ ؛ فَشَتَّانَ شَتَّانَ بَيْنَ الْفَانِي وَالْبَاقِي ،
وَالْقَاصِرِ وَالْقَادِرِ ، وَالْمَحْدُودِ وَغَيْرِ الْمَحْدُودِ ،
وَمَا يَنْتُجُ عَنْ هَذَا التَّبَاطُؤِ مِنْ تَبَاطُؤِ الْأَحْوَالِ «وَلِلَّهِ
الْمَثَلُ الْأَعْلَى» - التَّحِلُّ : ٦٠ - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» - الشُّورَى : ١١ -

(*) - الْفَزَعُ إِلَى اللَّهِ : اللُّجُوءُ إِلَيْهِ وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِ

وما فزِغْتُ إلى الله في وقتٍ من الأوقات ،
فَهَتَفَ به قلبي ، أو هَجَّ به لِسَانِي ، أو تَلَوْتُ آيَاتٍ
من كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ، إِلَّا كَانَ جَلًّا جَلَّاهُ معي ،
يَسُطُّ عَلَيَّ ظِلُّهُ الظَّلِيلِ ، وَيُنْزِلُ عَلَيَّ السَّكِينَةَ
وَالْأَمْنَ ، فَأَسْتَشْعِرُ حُضُورَهُ الَّذِي يَحْجُبُ كُلَّ
حُضُورٍ ، وَأَحْسُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ الرَّحِيمَةِ الْحَانِيَّةِ
تَمْسَحُ عَلَيَّ جِرَاحَاتِي وَآلَامِي وَأَحْزَانِي وَقَلْبِي ،
فَتَسْكِبُ من عَيْنَيَّ دُمُوعَ الطُّمَأْنِينَةِ وَالشُّكْرِ ، كَمَا
انْسَكَبَتْ دُمُوعُ الْقَلْقِ وَالْحُزْنِ وَالْأَلَمِ ، وَتَتَجَدَّدُ فِي
نَفْسِي النِّشَاطُ وَالْأَمَلُ وَالْعَزْمُ ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى
مُتَابَعَةِ طَرِيقِنَا بِكُلِّ تَفَاوُلٍ وَقُوَّةٍ وَإِضْرَارٍ .

كلمات صغيرة

سعادتك وشقاؤك بيد الله

إِنَّ النَّاسَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْطَوْكَ أَوْ يُسْلَبُوكَ شَيْئاً
ذَا بَالٍ ، إِذَا كَانَتْ صِلَتُكَ بِاللَّهِ ، وَتَعَامُلُكَ مَعَ
اللَّهِ ، وَكَنْتَ تَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّ حَيَاتَكَ الدُّنْيَا
وَمُضَى خَاطِفَةً مِنْ وَجُودِكَ الْمُسْتَمِرِّ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا ،
وَتُؤْمِنُ تَمَامَ الْإِيمَانِ بِالْقَلْبِ لَا بِمُجَرَّدِ اللِّسَانِ أَنَّ
سَعَادَتَكَ الْأَبَدِيَّةَ وَشِقَاؤَكَ الْأَبَدِيَّ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ
لَا بِيَدِ أَحَدٍ سِوَاهُ

الغِرَاسُ الباقي

إِنَّ مَا تَقْرِضُهُ عَلَى النَّاسِ بِالقُوَّةِ يَزُولُ إِنْ
ذَهَبَتْ مِنْ يَدِكَ القُوَّةُ، وَيَنْقَلِبُ النَّاسُ بَعْدَهُ إِلَى
نَقِيضِهِ بِرَدَّةِ الْفِعْلِ

أَمَّا مَا تَغْرِسُهُ فِي الْقُلُوبِ بِالْإِقْنَاعِ وَالْحُبِّ فَهُوَ
الَّذِي يَبْقَى وَيَرْسَخُ وَيُثْمِرُ أَطْيَبَ الثَّمَارِ، وَلَا
يُمْكِنُ أَنْ يَقْتَلِعَهُ الطَّاغُوتُ مِنَ الْقُلُوبِ الَّتِي رَسَخَ
فِيهَا وَلَوْ اقْتَلَعَ الْحَيَاةَ

البسمة الصادقة والكلمة الطيبة

لا تَبْخُلْ بِسَمَتِكَ الصَّادِقَةَ وكَلِمَتِكَ الطَّيِّبَةَ
على أَحَدٍ من النَّاسِ
إِنَّ البِسْمَةَ الصَّادِقَةَ والكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ رُبَّمَا
انْتَزَعَتْ من بعضِ الْقُلُوبِ أَشْوَكَاً من الْيَأْسِ
وَالشَّرِّ، وَأَثْبَتَتْ في بعضِ الْقُلُوبِ أَزْهَاراً من
الْأَمَلِ وَالْخَيْرِ . وَأَنْتَ لَا تَدْرِي وَلَا تَتَكَلَّفُ في
ذَلِكَ أَيَّ جُهِدٍ

الغفران و الإحسان

لَا تُقَابِلِ الْإِسَاءَةَ بِالْإِسَاءَةِ ، وَلَكِنْ قَابِلُهَا -
وَأَنْتَ فِي مَوْضِعِ الْقُدْرَةِ - بِالْغُفْرَانِ وَالْإِحْسَانِ ؛
فَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَهْدِيَ لَا أَنْ نَنْتَقِمَ ، وَأُسَوِّتُنَا فِي
ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَزَاؤُنَا
كُلُّهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عِنْدَ اللَّهِ . . وَحَسْبُنَا حَسْبُنَا
ذَلِكَ مِنْ جَزَاءٍ

ما ندمنا على الوفاء والإحسان

ما نَدِمْنَا قَطُّ عَلَى أَنَّنَا وَفَّيْنَا لِمَنْ غَدَرُوا بِنَا مِنْ
بَعْدِ، وَأَحْسَنَّا لِمَنْ أَسَاءُوا إِلَيْنَا مِنْ بَعْدِ؛ وَلَوْ
رَجَعَ الزَّمَنُ إِلَى الْوَرَاءِ، وَبَدَأْنَا حَيَاتَنَا مِنْ
جَدِيدٍ، لَمَّا فَعَلْنَا غَيْرَ الَّذِي فَعَلْنَاهُ مِنْ قَبْلِ

الأسوةُ الحسنةُ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ مُؤَثِّرَةٌ خَيْرٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْ
أَلْفِ خِطَابٍ وَكِتَابٍ

الحبُّ والبغضُ

الْحُبُّ رَاحَةٌ وَسَعَادَةٌ وَسُموٌّ، وَالْبَغْضُ عَذَابٌ
وَشَقَاءٌ وَانْحِطَاطٌ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ هَذَا أَوْ ذَاكَ

ما لا أغفره لنفسي

إِنِّي أَنْسَى بِسُرْعَةٍ إِسَاءَاتِ الْآخِرِينَ إِلَيَّ ،
وَأَسَاحِيهِمْ بِالْقَلْبِ قَبْلَ اللِّسَانِ ؛ وَلَكِنِّي لَا أَنْسَى
أَبَدًا إِسَاءَةً أَصَاتُهَا لِغَيْرِي ، وَلَا أَغْفِرُهَا لِنَفْسِي
مَهْمَا تَطَاوَلَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ

المحبة والفهم

لا يكفي أن تجد في الحياة الحب ، ولكنك تحتاج
أن تجد مع المحبة الفهم ، وما أندر أن يجتمع الأمران

في السراء والضراء

ما أصابني سراءُ سررتُ بها وشكرتُ اللهَ
عليها إلا تمنيتُ مثلها لكلِّ أُختٍ وأخٍ في الله عزَّ
وجلَّ ولسائرِ الناسِ

وما أصابني ضراءُ حزنتُ لها وصبرتُ عليها
إلا دعوتُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُجيبَها لكلِّ أُختٍ
وأخٍ وأن يذفعَها عن سائرِ الناسِ

ما أزال بعد على السّفح

لقد مَشَيْتُ طَوِيلًا وما أزالُ بَعْدُ على السّفح ،
فهل تُراي أَبْلُغُ الْقِمَّةَ أو أَقْتَرُبُ منها قبلَ الغُروب؟

يجب ألاّ تنقطع عن المسير

الجاهِلُ والأَبْلَهُ هو الذي يَظُنُّ نَفْسَهُ قد
وصل ؛ أمّا العالِمُ العاقلُ فهو الذي يَرى بَعْدَ
الغايةِ وطولِ الطَّرِيقِ ، ولا يكتفي بما بَلَغَهُ ، ولا
يَنقَطِعُ عن المسير.

على طريق الكمال

ما أزالُ أَهْفُو إلى الكمالِ منذُ وَعَيْتُ بِأَجْنِحَةِ
المَحَبَّةِ والشَّوْقِ والعلمِ والفكرِ والعملِ
الدَّائِبِ بلا انْقِطَاعٍ ؛ ولكنَّ الكمالَ شَيْءٌ لَا يَبْلُغُهُ
الإنسانُ على هذه الأرضِ ، وإن كان يَقْتَرِبُ منه
بمقدارِ إخلاصِهِ ومُثابَرَتِهِ ومُجاهدَتِهِ واستعدادِهِ
وتوفيقِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

مجال المعرفة وأمل التّقدّم

ما أَغْرِفُهُ قَطْرَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ بَحْرِ الْمَعْرِفَةِ
البشريّة، وما عَرَفْتَهُ البشريّةُ قَطْرَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ بَحْرِ
المَعْرِفَةِ الشّامِلَةِ الّتي لَا تَعْرِفُ الْحُدُودَ . . فما
أَجْدَرَنِي بِالْتَّوَاضُّعِ وَالْخَجَلِ مِنْ جَهْلِي، وما
أَفْسَحَ مَجَالَ الْمَعْرِفَةِ وَأَمَلَ التَّقَدُّمِ أَمَامِي وَأَمَامَ كُلِّ
البَشَرِ لَوْ صَدَقَ الْعَزْمُ

محمد إقبال

لقد اشتَهيتُ أن أعرفَ «الأردية» و«الفارسية»

لأقرأ بهما مباشرةً شِعْرَ مُحَمَّدٍ إقبال رحمه الله

لقد أشجاني وأبكاني هذا الشاعرُ العظيم ؛ فليتَّه

يوجدُ فينا الآنَ كثيرٌ مثله يُشْعَوْنَ إيماناً وحماسةً

وصِدْقاً، وَيَتَلَاوُونَ عِلْماً ووعياً وفكراً، ويتألّفونَ

بياناً وخيالاً وسِحْراً، ويدوبونَ محبةً ورقّةً

ولوّعةً، وينفُخونَ في شُعوبِنا المميّتَةِ أنسامَ الحياةِ

والثّقةِ باللهِ وبالنّفسِ، ويُبَصِّرونَها بالواقعِ

والغاية والطريق ، وَيَحْفِزُونَهَا عَقْلاً وعاطفةً
وإرادةً إلى جلائل الأعمال ؛ ولكن هيهات هيهات ،
فمثلُ هذا الشاعرِ العظيمِ قليلٌ نادرٌ في كلِّ عصرٍ
من العصور

السِّرُّ والعلن

قد يكون ما نُخْفِيهِ أدلَّ على حَقِيقَتِنَا ممَّا تُبْدِيهِ . .
وما أكثر ما يكون المَظْهَرُ مُغَايِرًا لِلْمَخْبَرِ أو أَجْمَلَ
منه . .

متى يَسْتَوِي عندنا السِّرُّ والعلنُ جَمَالًا وَتُبْلًا؟
بَلْ متى يَزِيدُ عندنا السِّرُّ على العَلَنِ في الجمالِ
والتُّبْلِ؟

الأمل والثقة بالله

إِنَّ لِلْأَمَلِ وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ أَجْنَحَةً عَجِيبَةً تُحَلِّقُ بِالْإِنْسَانِ
الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ فِي عَوَالِمِ الْحَرِيَّةِ وَالنُّورِ، مَهْمَا
كَبَّلَهُ الطَّاعُوتُ بِالْأَغْلَالِ، وَحَاوَلَ حَبْسَهُ فِي أَقْبِيَّةِ
الْيَأْسِ وَالظُّلَامِ . . . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ
الصَّادِقِ وَالْأَمَلِ الْوَاقِعِ، فَهَذِهِ النِّعْمَةُ الْعَظِيمَةُ كُنَّا
أَقْوَى مِنَ الْقَيُودِ وَالْقُنُوطِ وَالطَّاعُوتِ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ
وَالْأَحْوَالِ، وَأَقْوَى مِنَ الْمَوْتِ وَنَحْنُ نُوَاجِهُ الْمَوْتَ كُلَّ
يَوْمٍ، فَالشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - إِنْ كُتِبَتْ لَنَا الشَّهَادَةُ -
أَنْبَلُ طَرِيقٍ وَأَقْرَبُ طَرِيقٍ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْخُلُودِ وَمَرْضَاةِ
اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ

الأسرة المتحابّة المتعاطفة

في أَحْلَكِ أَيَّامِ حَيَاتِي ، كَانَتْ كَلِمَةُ حَنَانٍ
مِنْ عِصَام ، أَوْ ابْتِسَامَةٌ سَعَادَةٍ مِنْ هَادِيَةٍ أَوْ
أَيْمَنْ ؛ تُبَدِّدُ مَا حَوْلِي أَوْ مَا تَسْرَبُ إِلَى نَفْسِي مِنْ
ظُلُمَاتٍ . . وَتُوقِدُ فِي قَلْبِي أَلْفَ مِصْبَاحٍ مِنْ
السَّعَادَةِ وَالْأَمَلِ ، وَتُجَدِّدُ عِنْدِي مَا خَبَا مِنَ الْعِزْمِ
وَالنَّشَاطِ وَإِرَادَةِ الْكِفَاحِ . .

مَا أَرْوَعُ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ زَوْجَةً أَوْ أُمًّا فِي أُسْرَةٍ مَتَحَابَّةٍ
مُتَعَاطِفَةٍ مَتِينَةِ الْبُنْيَانِ ، وَمَا أَقْدَرُهَا حِينَ ذَلِكَ عَلَى مُصَابِرَةِ
الشَّدَائِدِ وَالْخُطُوبِ ، وَمُؤَالَاةِ السَّيْرِ عَلَى طَرِيقِ الْوَاجِبِ مَهْمَا
كَانَتِ الظُّرُوفُ وَالْعَقَبَاتُ

ألوان من السَّعادة

هَبْكَ أَلْوَانُ مِنَ السَّعَادَةِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ
خَبَرَهَا، سَعَادَةٌ لَا تُقَاسُ إِلَيْهَا سَائِرُ مَبَاهِجِ
الدُّنْيَا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُشْتَرَى بِكُلِّ مَالِ الْأَرْضِ
وَكَمْ غَمَرَتْ قَلْبِي هَذِهِ السَّعَادَةُ الذَّائِيَّةُ
السَّمَاوِيَّةُ وَنَحْنُ نَعِيشُ بَعْضًا مِنْ أَشَدِّ أَيَّامِ
حَيَاتِنَا، بَيْنَ أَطْبَاقِ الظُّلُمِ وَالظُّلَامِ، وَبَرَائِنِ
الْغُرْبَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالْخَطَرِ وَالْاضْطِهَادِ، عِنْدَمَا كُنْتُ
أَدْخُلُ عَلَى «أَيْمَن» عَلَى غَيْرِ انْتِظَارٍ، فَأَجِدُهُ قَائِمًا

يُصَلِّي، أَوْ جَالِساً فِي فِرَاشِهِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ حَفِظْتَ فِي ظُلُمَاتِ الْغُرْبَةِ
وَالْغَرْبِ نُورَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ وَقَلْبِ شَقِيقَتِهِ،
وَهَدَيْتَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . . أَتِمِّمْ نِعْمَتَكَ
عَلَيْهِمَا وَعَلَى وَالِدَيْهِمَا، وَاحْفَظْهُمَا وَاحْفَظْ عَلَيْهِمَا
الْإِيمَانَ وَالْهُدَايَةَ - بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ - فِي مُقْبِلَاتِ
الْأَيَّامِ

القتل والتعذيب!

يا إلهي ! كَيْفَ يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَنْ يَقْتَلَ إِنْسَاناً
آخَرَ بِغَيْرِ حَقٍّ ؟ ! ؛ وَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَنْ
يُعَذِّبَ إِنْسَاناً مِنْهُمَا كَانَتِ الْأَسْبَابُ ؟ !!

أما علمتَ بعد؟!

لماذا تَسْتَنْزِفَن دُمُوعَكُنَّ ، وَتُمَزِّقَن حَنَاجِرَكُنَّ -
أَيُّهَا الْأَخَوَاتُ الْفِلِسْطِينِيَّاتُ - بِنْدَاءِ حَكَّامِ
العربِ والمسلمين؟!

أَمَّا عَلِمْتُنَّ بَعْدُ أَنَّ الْمُعْتَصِمَ لَمْ يْعُدْ لَهُ
وُجُودٌ ، وَأَنَّ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ قَدْ مَاتَتْ مِنْ زَمَنِ
طويل؟! (*)

(*) - من كلمة إلى الأخوات الفِلِسْطِينِيَّاتِ أَيَّام «تَلِّ الزَّعْتَر» سنة ١٩٧٦م

نهاية!

قِصَّةُ اغْتِيَالِ الإِمَامِ الشَّهِيدِ حَسَنِ النَّبَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَهْزُّ
ضَمِيرَ الْإِنْسَانِ وَكَيَانَهُ مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ سَمِعَهَا أَوْ قَرَأَهَا ، فَكَيْفَ
إِذَا سَمِعَهَا مِنْ بَنْتِهِ الَّتِي عَاشَتْهَا فِي وَقْتِهَا ، وَفِي ذَكْرِيَاتِهَا
الْأَلِيمَةِ وَأَثَارِهَا الْعَمِيقَةِ عَلَى تَوَالِي السَّنِينَ ، فَرَأَاهَا بَعَيْنِهَا ،
وَعَاشَهَا مَعَهَا لَحْظَةً لَحْظَةً مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ ، وَمِنْ دَاخِلِ
النَّفْسِ ، وَفِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ
لَا أَدْرِي لِمَاذَا تُعَارِدُنِي هَذِهِ الْقِصَّةُ كَمَا سَمِعْتُهَا

من بنت الإمام الشهيد في «جُنيف» قبل سنواتٍ وسنوات ،
وإن كنتُ أُحِسُّ بأننا نعيش في ظروفٍ مُشابهةٍ بعضَ الشَّبهِ
لتلك الظروف ، وأننا نُدْفَعُ دَفْعاً بِأَيْدٍ مُتَامِرَةٍ ظَاهِرَةً وَخَفِيَّةً
إلى مثلِ هذه النِّهَايَةِ المَرْسُومَةِ . . وما أَفْجَعَهَا وما أَجَلَّهَا
وَأَرْوَعَهَا في نَفْسِ الوَقْتِ من نِهَايَةٍ في سَبِيلِ اللَّهِ

أمنية

كَمْ أَتَمَنَّى يَا عِصَامَ - وَهَذَا جُزْءُهُ مِنْ ضَعْفِي الْبَشَرِيِّ
وَشُعُورِي الْإِنْسَانِي لَمْ أَسْتَطِعِ التَّخَلُّصَ مِنْهُ بَعْدَ - أَنْ نَعُودَ
قَبْلَ مَوْتِنَا إِلَى دِمَشْقَ ، وَأَنْ نَقْضِيَ مَا بَقِيَ مِنْ حَيَاتِنَا - إِنْ كَانَ
فِي حَيَاتِنَا بَقِيَّةٌ - هُنَاكَ ، وَأَنْ نُدْفِنَ - عِنْدَمَا يُحْمُ أَجْلُنَا - بِجَوَارِ
مَنْ سَبَقْنَا مِنْ أَهْلِنَا وَأَحِبَّائِنَا فِي تُرْبَةِ الدُّحْدَاحِ أَوِ الْبَابِ
الصَّغِيرِ . وَلَكِنْ يَدُولِي - وَالْمَوْتُ يَتَعَقَّبُنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي
كُلِّ مَكَانَ - أَنَّا سَنُدْفَنُ فِي الْغُرْبَةِ كَمَا عَشْنَا فِي الْغُرْبَةِ . . بَعِيداً
بَعِيداً عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ